الحياة مع القرآن

كتبه

عادل عبد العزيز المحلاوي

مصدر هذه المادة:



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتـاب ولم يجعل له عوجًـا، أحمـده سـبحانه جعل كتابه للمؤمنين هدى، وأصلي على من جعل القرآن ربيع قلبه، ونور صدره ثم اهتدى.

أما بعد:

الحديث عن القـرآن حـديث عظيم؛ لأنه حـــديث عن كتـــاب عظيم، وما كتبت عن القـــرآن يومًا أو تحـــدثت عنه إلا اجتمع لي أمـران الفـرح والخجـل، فـأفرح لأني أتكلم عن كلام اللـــه، وأخجل لأن مثلي يتكلم عن هذا الكلام، ولكـني أحمـده عز وجل أن أذن لمثلي أن يتكلم عن كلامه.

ولو أراد المـرء أن يسـهب في الحـديث عن كلام اللـــه، لفـــني العمر ولم ينته من الحـــديث بعـــد، ولكن لعلي أتكلم عن كيف يتـــأثر المســـلم بـــالقرآن، خصوصًـــا أن المسلمين يقبلون عليه في أيام رمضان.

صح عن عثمان وأرضـاه أنه قـال: «لو سلمت قلوبكم ما شـبعتم من كلام ربكم»؛ ذلك أن القرآن كلام الله، وكلامه صــفة من

صفاته.

تأمل – أولاً – في كرامة القـــرآن لأهله جاء عن الترمذي رحمه الله من حـديث أبي هريــرة وأرضــاه أن رســول الله قــال: «**يجئ القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلِّه فيلبس تـــاج الكرامـــة، ثم يقـــــــول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامـة، ثم يقـول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه**» حديث حسن.

فمن لي بمثلك يا صــاحب القــرآن نلت تـــاج الكرامة وحلتهـــا، وفـــزت بالرضا من الرحمن.

إن العيش مع القــــرآن عيش كــــريم، ونعمة يتفضل بها الله على من شــــاء من خلقه، وحياة تعجز العبـارات أن تعـبر عنهـا، ولـذا كـان حريًا بـالمؤمن الناصح لنفسه أن يجاهد نفسه للعيش الحقيقي مع القـــرآن، تأمل في حال السلف وكيف كـانت حيـاتهم مع القــرآن، وقــارن بين حالنا وحــالهم عند التلاوة.

قيل لبعض السلف:

إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟

فقــال: أَوَ شــيء أحب إلي من القــرآن حتى أحدث به نفسي؟

لقد كانوا يعلمـون أن القـرآن ليس مثل كلام البشر، فهم على يقين بصدق أخباره.

ونفــاذ وعــده ووعيــده، كــان لأســلوبه المعجز أثره في نفوسهم؛ ولـذا تلـذذوا بـه، وآثــروه على حــديث النــاس فليت شــعري متى نصل لهذا الحال؟

ورمضــــــان فرصة لنا لتجديد العهد مع القــــرآن أولاً، والعـــــودة الحقيقة للتلاوة المؤثرة للقلوب، المغيرة للسلوك، نريد أن نصل إلى أن يكـــون حالنا بعد التلاوة غـــير حالنا قبله، وحياتنا مع القرآن حياة المحـبين لآيات الرحمن، المعظمين لها.

ولئن كــان رمضــان فرصة للازديــاد من الختمـــات، فـــإن الأولى بنا صـــرف الهمة للتدبر، حتى تتغير أحوالنا وتتبدل أمورنا إلى كل خير.

انظر إلى حال رسـول الله عليه الصـلاة والسلام كان يحب أن يتلو القرآن ويســمعه

من غــيره، ومن ورائه أبو بكر وعمر كــانت تسمع أصوات بكائهم من وراء الصفوف.

ما الــذي يجعلهم يبكــون وهم الرجــال الأبطال؟

هل سألنا أنفسنا هذا السؤال؟

أما الجـــواب: فتأمله معي في هـــذه الآيــات يقــول ســبحانه مادحًا خــيرة خلقه وأصفيائه من أوليائه :﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آَدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَـــعَ نُـــوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْــرَاهِيمَ وَإِسْــرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَــدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَــــــاتُ الـرَّحْمَنِ خَـرُّوا سُـجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مـريم: 58].

فالبكـــاء ترجمة حقيقية لتـــأثر القلب، والعيش الحقيقي مع القــرآن، أريــدك كلما قرأت القرآن أو اسـتمعت إليه أن تستحضر أنه كلام الله الـــــذي خلقك ورزقك وأنعم عليـــك، تفكر في كل آية بل وكل كلمة من كلماته وسيحدث في نفسك العجب.

ولعلي أضع بين يـــــديك طرقًا تصل بها

إلى التأثر والانتفاع بتلاوتك فمنها:

* **حاول أو تقـرأ تفسـيرًا ميسـرًا للآيات**:

خصوصًا الآيات التي تحتاج إلى تفسير.

* **تحسين الصوت:** حسن صوتك عند التلاوة ما اسـتطعت إلى ذلك سـبيلاً، وفي الحـــــديث: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» [رواه البخاري].

قال النووي: «والترتيل مسـتحب للتـدبر ونحوه».

* **الإنصــات التــام عند ســماع القرآن**:

من أهم أسـباب الانتفــاع به ولا حــرج على المـــرء في تخـــير الصـــوت الحسن المـــؤثر، ســـأل رجل أحمد بن حنبل عن الصلاة في المسجد البعيد عن الحي، فقـال له الإمام: «انظر ما هو أنفع لقلبك».

* **ترديد الآيـــات المـــؤثرة في القلب:**

لابد للقـــارئ عند تلاوته أن تمر به آية مـؤثرة في قلبه فـالأنفع له أن يقع متـدبرًا

لمعاني هذه الآية، مستفهمًا هـذا الخطـاب، ولو بقي مع هـذه الآية زمنًا فهو أنفع له من إكمال السورة دون تدبر، يقول أبو سليمان الــداراني رحمه اللــه: ربما أقمت في الآية الواحـدة خمس ليـال، ولـولا أني أدع الفكر فيها ما جزتها أبــدًا، ولربما جــاءت الآية من القرآن فيطير عقلي لها.

* **وأنت تقـرأ آيـات القـرآن اجعل نفسك كأنك المخاطب بها**:

فإن كثيرًا منا لا يستحضر في ذهنه هـذه الأمر فيفوت على نفسه الانتفاع.

* **حــاول العيش مع هـذه الآيــات بوجدانك:**

فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة استحضر نفسك كأنك تعيش فيها متلذذًا بملاذها، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار خشـيت أن تكـون من أهلها واستعذت بالله منهــا، وإذا مـررت بقصص الســابقين نقلت فــؤادك إلى ذلك الزمـان وكأنك تعيش تلك الأحـداث، وهكـذا مع كل آي من الآيات.

* **تدبر في آيات الصفات**:

التي تصف الله تعالى وعظمتــه، وتصف أفعاله العظيمة مثل خلق الجبـــال والأرض والسـماء والأنهـار وغيرهـا، خذ مثـالاً هـذه الآية العظيمة من ســورة لقمــان ﴿**خَلَــقَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِـــيَ أَنْ تَمِيــدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُــــلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُـلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَـذَا خَلْـقُ اللَّهِ فَـأَرُونِي مَـاذَا خَلَـقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِـهِ بَـلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [لقمان: 11].

تفكر في هـــذا الصـــنع العجيب المتقن ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُـلَّ شَـيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: 88].

واعلم أن التدبر يوصلك إلى عظمة ربك ومولاك، ويريك حقيقة الدنيا والآخرة، ويبين لك مــآل الفــريقين، ومســتقر الطــائفتين، ويزيد في إيمانــــك، ويرفع في درجاتــــك، ويقــوي اســتقامتك، ويزهــدك في الــدنيا، ويرغبك في الآخــــرة، ويطــــرد عنك الهم، ويــذهب عنك الغم، ويســليك عن النــاس،

ويجعلك تلج جنة الـــــدنيا، في خـــــيرات لا منتهى لها.

كتبه
عادل بن عبد العزيزالمحلاوي